باليت المدى
▪ ستار كاووش

عين الفجر

لم يدر بخلد الفتاة الهولندية مارغريتا، ابنة صاحب المتجر بمدينة ليواردن، بأنها ستصبح اسطورة وحكايتها تملأ الافق، ولم يتخيل احد بأن الكثير من الرجال المرموقين وأصحاب النفوذ سيتاقتلون في سبيل الارتماء تحت اقدامها، آملين الصعود قليلاً للوصول الى احضانها الدافئة. هؤلاء الرجال هُمْ ذاتهم الذين إرتعبوا واستشاطوا غضباً او ربما خوفاً من هول المفاجئة، حين علموا فيما بعد بأنها كانت اكبر جاسوسة عرفها القرن العشرين. نعم هكذا كانت الحكاية التي غلفت حياة الراقصة الشهيرة التي عُرِفَتْ بأسم ماتا هاري، وهو الاسم الذي اختارته لنفسها بعد اَن عاشت فترة من الوقت في جزيرة يافا الاندونيسية، وهو يعني بلغة أهل الجزيرة (عين الفجر). سيرتها كانت مليئة بالبذخ وصورها تتصدر الصحف والمجلات، يحيطهاالذهب والمخمل والعطور والأموال الطائلة، كل هذا ممزوجاً بسطوة كبيرة وجمال أخّاذ.

وسط هذه الحياة بالغة الترف، لم تتوقع ماتا هاري مصيرها المفاجيء سنة ١٩١٧ وهي تجلس في جناحها الفاخر في فندق ريتز الشهير في مدريد، ولم تدرك أن الفطور التي أوصتْ عليه قبل لحظات كان فطورها الأخير، حيث دخلت عليها الشرطة الاسبانية وإقتادتها بتهمة التجسس للألمان، لينفذوا فيها حكم الأعدام مباشرة بعد ان اعترفت، وذكرت بأنها كانت بحاجة الى النقود التي أقَرَّتْ بأنها إستلمتها من الألمان بالفعل، لكنها أكَدَتْ عدم قيامها بتقديم أيَّة معلومات لهم. لتقف في اليوم ذاته منتصبة امام البنادق المُعَبَّئَة بالرصاص، بعد أن رفضت أن يُغطى وجهها بالكيس الأسود.

هاهي مائة سنة تمضي على هذا الحدث، وهاهو متحف فرسيلاند في مدينة ليواردن يقيم معرضاً استثنائياً بهذه المناسبة ويعيد التعريف بتفاصيل حياة اسطورة الجمال والرقص والجاسوسية. معرض كبير ومنظم بشكل مدهش، حيث تَدَلَّتْ قطع الأقمشة الملونة الشفافة من سقوف المتحف لتتحرك بإيقاعات مناسبة للعرض، بينما ملأت صور ماتا هاري كل مكان، ووزعت على مناضد صغيرة ذات اضاءة خاصة المئات من رسائلها التي كتبتها بخط يدها.. كذلك قطع من ملابس رقصها واكسسواراتها والكثير من التفاصيل المتعلقة بها وبرقصها وحياتها، ليقدم لنا المتحف حكاية امرأة فريدة سواء كانت في زمانها او عند إستحضارها اليوم عبر هذا المعرض.

هذه النجمة التي أفلت عند موتها القاسي، عادت بعد ١٤ سنة من قتلها، للسطوع من جديد من خلال فيلم حمل عنوان (ماتا هاري) سنة ١٩٣١ وقد مثلت شخصيتها في الفيلم الممثلة العظيمة غريتا غابو. كذلك قَدَّمَتْ فرقة الباليه الوطني الهولندي عملاً عن حياتها، لتظهر بعد ذلك العديد من الافلام والمسرحيات الموسيقية التي تناولت سيرتها، في امريكا وهولندا وايطاليا وغيرها الكثير من البلدان، وكذلك صدرت الكثير من الكتب التي تناولت حياتها المثيرة، ومن بينها الكتاب الذي كتبه ابوها عنها وتحدث فيه عن نجاحها وإخفاقها.

تجولت في المعرض وانا أشم عطر امرأة بعيدة، فاتنة، وتقطر غواية. امرأة كان حضورها آسراً، وغيابها مربكاً، وإستحضارها بعد قرن من الزمان لا يقلُّ هيبة وسحراً عن رقصاتها التي كانت رؤوس الرجال تستدير مع إيقاعاتها، لتتحول في النهاية الى طيفٍ ملونٍ بالغموض والسحر والعظمة.

أصل الى الجانب الاخير من المعرض حيث عُلِّقَتْ العشرات من افيشات السينما واعلانات المسارح التي تناولت سيرتها واعادتها للضوء. لأنهي جولتي أمام البورتريت الكبير الذي رسمه لها الفنان إزرايلز الذي يُعَدُّ اعظم فناني مدرسة لاهاي في الرسم، حيث إلتقاها الفنان العظيم ورسمها قبل أن تلاقي مصيرها المحتوم بسنتين، ليغيب جسدها وتبقى ذكراها الى الأبد.

خرجت من المتحف ومررت بجانب البيت الذي وُلِدَتْ فيه ماتا هاري، صوَّرتُ واجهة البيت قبل أن أُمَسِدُ بيدي على وجه التمثال البرونزي الذي نُصِبَ قبل أيام قربَ بيتها إحياءً لذكراها.

تجولت في المعرض وانا أشم عطر امرأة بعيدة، فاتنة، وتقطر غواية. امرأة كان حضورها آسراً، وغيابها مربكاً، وإستحضارها بعد قرن من الزمان لا يقلُّ هيبة وسحراً عن رقصاتها التي كانت رؤوس الرجال تستدير مع إيقاعاتها، لتتحول في النهاية الى طيفٍ ملونٍ بالغموض والسحر والعظمة.

النحّات صالح الكناني .. نبض الليونة ... سمات الوضوح

تشفع مجموعة النُصب والأعمال التي أنجزها النحّات " صالح الكناني - تولد ديالى/١٩٧٢ " على طول وعرض فترات الإعلان عن صدق نواياه ونصاعة موهبته، قبل وبعد تخرجه من معهد الفنون الجميلة ببغداد ١٩٩٤-٩٣، في فهم خواص الحقيقة التي تقف عليه مهماته التنفيذيّة والإبداعيّة لمجمل ما قدّم من منجزات أتسمت بالوضوح ومستلزمات البوح لما هو مفهوم وموّجه نحو أكثر عدد ممكن من المشاهدين والمتفاعلين مع شساعة الرقعة التي تتطلبها غايات هذا الفن الواضح والقريب من الذائقة الجمعيّة وتصوّرات ذلك الجمهور العريض، الذي تستهدفه أعمال " الكناني" وتستفتي مفاهيمه وتستحث مشاعره وسيول عواطفه على هذا النحو والمستوى التعبيري والحسي و منوال مناسيب لحظاته الإنفعاليّة والتشخيصيّة التي كثيراً ما يلجأ إليها هذا الفنّان في توريد أعماله .

حسن عبدالحميد

تتقابل كل هذه الأنساق في مرآيا أعمال "صالح " سعياً في إنتاج ذاته التائقة والمخلصة لمعنى الخصوبة الروحية والليونة السارية في مفاصل عموم ما يُخطط ويُنفذ من سلسلة أشكال وتوضيحات صور لوجوه وأجساد منحوتة بعناية و إنسيابيّة تتعشق مع وحدات " بانروميّة " تتحدّ مع بعضها لتشكّل وحدة الموضوع الذي يتخذ -عادة- حالات ومواقف وطنيّة وإنسانيّة بحتة جرى رصفها وتنيسقها على نحو متنوّع من حيث قدرة الفنّان على توريد تلك الأفكار ومن ثم تحويلها إلى حالات محاكاة و توضيحات عيانيّة ما بين العمل والمُشاهد، ولعل ذلك يتضح بشكل تتابعي و يومي من خلال - مثلاً- نصب " الفلاح " الذي يتوسط ساحة الأمين في مدينة " بعقوبة " أو في عمل نصب " السلام " في سوريا/ ٢٠٠٧و مشاركته في مسابقة " المرأة العراقيّة " في العام/ ٢٠١٠ كذلك المشاركة بمسابقة نصب " السجين السياسي " و حضوره الواضح في معرض " التعايش معاً " وغيرها من إسهامات في معارض مشتركة في بغداد وعمّان التي شهدت معرضه الشخصي الأول في العام/ ٢٠٠٣، حصوله على المرتبة الثانيّة في مسابقة " نصب العراق "، فيما تعود أسس تلك الإسهامات إلى أثر مشاركاته في مهرجان بابل الدولي منذ عام ١٩٩٤ ولغاية ٢٠٠٢، وحضوره المتميز في معرض حمل عنوان " فكتور هيجو " في العام/ ١٩٩٩، ثم اسهاماته في ملتقى بغداد للفن التشكيلي/ ٢٠١٣والفوز بالمرتبة الثانيّة بمسابقة العراق في النحت، وتوالي مشاركاته في معارض جمعية الفنانين التشكيليين حتى آخر معارضها في العام/٢٠١٧ .

صلابة الجذر الرافديني

كان لابد من حتميات هذا المرور الإستذكاري في فحص وتقيم منجزات " صالح هادي علي أحمد الكناني " وثقة التأكيد على صلابة الجذر الرافديني القديم وما نتج عنه وما لحقه على توالي مرّ العصور وصولاً للحاضر الراهن و الذي ينحت فيه ويحفر بروح فاحصة لما يناسب عمق وصراحة أفكاره من جداريات و أعمال تتلاقى في أتونه ومعبره الكثير من التفاعل والأنفعالات التي تلازمه بسبب ظروف العراق الحالية و الإستثنائية بشكل عام ومحافظته " ديالى" ومدينته " بعقوبة " التي يعمل فيها تدريسيّا في مديرية التربيّة.

شكل القصد الراصد لطبيعة مفردات الحياة السهلة والبسيطة التي تعيش و تسكن في ذهنه و تتغلغل في وجدانه ملامح من ربوع مدينته و خواطر المدن و تلقائية حياة القرى القريبة منها، فضلاً عن توافد الصور والملاحم التأريخية لحضارة العراق حيزاً واسعاً تمثّل يرفد خصوبة و ليونة أعمال " صالح " وهي تتلاقح و تتنامى على هيئات و خواص " بانوراميّة " تمتد و ترتفع لتشكل أشبه بزقورات و منحوتات جداريّة " ريليف " و أخرى تتشاخص وفق مقدرات الطول و جرأة المدّ والتمهيد لفعل الإستطالة المقصودة التي تهبّ تلك الأشكال و الشخوص والهامات حضوراً ملحميّاً يحفر عليها " الكناني " أو رصف ما يجاورها بحروف أو أشجار نخيل و أغصان وسنابل لتزيد من ثراء خصوبة المشهد العياني عبر إنفتاح العلاقات ما بين تلك الشخوص الآدمية أو الحيوانية وما بين حياة الأرض و الزرع في تداخل حسي و نفسي يندغم فيه الشكل مع جوهر المضمون في إتحاد تفاعلي و إنفعالي تام.

تثق منحوتات هذا الفنان كثيرا بطبيعة و محدوديّة بالمواد التي ينفذ عليه أفكاره سواء أكان مادة " البورك الخام " أو الخشب أو " الفايبر كلاس" لتكدس روح الموضوع الذي يرسم و يخطط بل و يصمّم له -إيضا- ويلّون جوانب وحواف أشكاله وفق رؤى و إنهماكات تداخليّة لا تخرج عن مرامي و مدارات وعيه التداولي وفهمه التتابعي لقيمة وهيبة و صراحة الفكرة وحيثيات الهدف و طبيعة الموضوع في نهايّة أبعد مقاصده وحدود مراميّه الجماليّة.

الجمال ... وحاجته للحقيقة

ستبقى فكرة أو مفهوم أن " الجمال بحاجة - دائماً- الحقيقة " تفرض نمطاً حراً و مقيّداً في ذات حيثيات وقائع ما يلزم و يحدّ من طبيعة التفاوت الحاصل في أصل مفهوم الجمال العام و ما ينتج عنه من قيم ومعادلات ذلك الجمال الخاص و المحدّ بجملة من خواص وتبعات فكريّة و ثقافيّة و ذوقيّة،من تلك التي ستحدّ مسار و مدارات و توجيه بوصلة إتجاهات القبول أو سواند الرفض و ملكات التأويل، بيد أن مساعي " صالح الكناني " لا تنوي الخروج عن مكان الجمال العام و حقيقة ما يجانب هذا الوضوح الملازم لروحيّة النسق الذي يحتمي فيه ويؤسس عليه نهج قناعاته التي أذكت من مدارك وجوده محافظاً و دقيقاً في فرض هيبة وسطوة حضور الموضوع و جلال الفكرة التي لا تتعدى حدود الفهم الجمالي العام و بخصوصيات فهم وهضم مفردات البيئة الداخليّة والخارجيّة لدواخله .

لعل الولع الضمني بأفق دقة المهارة و حذر التنفيذ و جدارة الحرص المرافق لجوهر مجال التعبير عن الواقع و مرموزات الحضارة القديمة هي الأسس الدافعة إلى تقييد مدياته للحدّ الذي يجعل من نمط أسلوبه واضحاً و صادحاً في مقررات و نواتج هذه التجربة، وحقيقة الإعتراف بطبيعة وسبل الوصول إلى الجمال الذي يبغيه " صالح " المتصالح مع ذاته و بهاء بيئته وتأريخه الشخصي و تساوقه الحضاري مع ما توارثه من آثار و رُقم طينية و ملاحم و رموز سومريّة و بابليّة أو أكديّة ، نخالها تتضافر و تتظاهر كما الثور المجنح - مثلاً- وغيرها لتتماهى و تتغلل في نسيج وبناء وحداته حتى في أشد و أقصى صنوف ميوله وتوجهاته الحداثويّة و تنويراته المعاصرة ، فهو دائم التعبير بالوضوح و محافل البوح عن هويته الوطنيّة ومواقفه الإنسانيّة عموماً.

حضارة العراق بتاريخها الهائل في معرض شخصي للتشكيلي ماهر الطائي

متابعة المدى

خلال معرضه الذي حاول فيه أن يؤرخ ويؤرشف حضارة العراق، الفنان التشكيلي ماهر الطائي يفتتح معرضه الشخصي على قاعة المعارض الفنية لدائرة الفنون العامة، في مقر وزارة الثقافة والسياحة والآثار وبالتعاون مع مركز أوج بغداد الثقافي وذلك صباح يوم الاثنين الفائت.

وحضر المعرض السفير الايطالي في العراق برونو باسكينو، والسفير الفرنسي في العراق برونو اوبير، ورئيس لجنة الثقافة النيابية ميسون الدملوجي ،ومدير عام دائرة الفنون العامة شفيق المهدي، ووفد عن جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين، وعدد كبير من النقاد والفنانين والمهتمين ووسائل الإعلام.

أفتتح المعرض وزير الثقافة والسياحة والآثار فرياد رواندزي مؤكداً إن "هذا المعرض متميز؛ لان الفنان ماهر الطائي هو الذي يستطيع أن يقوم بإبداعاته المتميزة من خلال هذه الأعمال الفنية، فهو يجمع بين روح الحداثة، وكذلك تراث حضارات وادي الرافدين، وهذه هي النقطة الجاذبة في المعرض وكذلك الأعمال الفنية.

بدوره قال مدير عام دائرة الفنون العامة شفيق المهدي إن "أعمال الفنان ماهر الطائي متميزة جداً، فهو يبحث عن الآثار لكي يحولها باتجاه معاصر، ويبحث عن الأثر في الماضي القديم جداً، كما يبحث عن الحضارات القديمة جداً، ويجرد أعماله بطريقة خاصة، فهو يزاوج بين المدرسة العراقية والمدرسة الايطالية، إذ إن كل لوحة خلفها فكر وعقل، وإن الفنان ماهر الطائي علق حضارة العراق بتاريخها الهائل على جدران وزارة الثقافة ."

كما ذكر الناقد التشكيلي عادل كامل عضو رابطة الآيكا الفرنسية للنقاد التشكيليين ضن خطابه النقدي ان "بيكاسو أو جايكو متي لم يغامرا بالعودة إلى جذورهم الموغلة في القدم، ولم يغامرا بالدخول إلى حداثة العصر. فهناك بين الماضي السحيق والحداثة، الدراسات والفلسفات التي ترنو إليها ملامح التشكيل المعاصر في العالم، إلا انه بقي ضمن هذا اللعب الطفولي الذي ينتج لنا جمالاً مبني على تقنيات محددة جداً واخراجات محددة تفضي غزارة في الموضوع."

الطائي يرتكز في أعماله على الأثر كموروث كامن في لا شعوره، مما جعله خصوصية متفردة ومتجذرة في أعماله، إذ يستقطب الماضي بكل معطياته المرئية المحسوسة، ليؤكد أصالة المرجع بكل مورثاته التي تستدعي الفن عبر تفاعله الديناميكي على وفق إيقاعات فردية مبتكرة، وهذا التواصل الفعال مع الأثر بكل معطياته الملموسة والمدروسة والمحسوسة، يعكس الوجود الفردي في المجتمع، ضمن فردية قائمة على التأصل الذي استند على اعتبار الفرد جزءاً من مجتمع كلي يرتبط بحضارة يعكسها من خلال موروثه الحضاري بمعطياته الطبيعية والثقافية، ومحكومة في الوقت ذاته بالخبرة والتجربة والممارسة، وهنا يكمن السر في خصوصية الأصالة الحقيقية في تطبيقاتها على الفنون المعاصرة .

السر البشري الكامن في الفنون واللغات والموروثات المختلفة،الطائي يكمل برنامجا يعول على تحليل أسرار فنون الماضي ويعيد صياغتها باللغة التي كان جواد سليم وإسماعيل فتاح بذرة خلاقة لها. فالطائي ولد في هذا الرحم الكبير من الموروثات المشفرة ذات الأبعاد الجمالية غير المحدودة .. وأعماله ليست للسوق".

ليذكر الفنان ماهر الطائي قائلاً "نرى أعمالاً ببساطة تثير الرغبة من أجل خلق عالم جمالي خاص ضمن كل

جيرالد سكارف .. والجانب القبيح للسياسة .. من تشرشل إلى ترامب!

ترجمة / عادل العامل

ظل جيرالد سكارف Gerald Scarfe على مدى الـ ٦٠ عاماً الماضية يُبدع صوراً تخطيطية مميَّزة ومزعجة لأشخاص في السلطة. وأكثر صوره الباقية في الذاكرة - مارغريت ثاتشر المعقوفة الأنف المتعطشة للدماء، ومدير المدرسة الشرير في بنك فلويد، وتوني بلير الفأريّ الأذنين - قد تجاوزت الفنان نفسه وفعلت فعلها في اللا وعي الشعبي، كما يقول كلايف مارتن في مقاله هذا.

وسكارف فنان اشتغل على الدوام ضمن المؤسسة التي يهجوها برسومه انطلاقاً من مجلات الشؤون الراهنة الهجائية في الستينيات، قبل أن يعمل للسّندي تايمس والنيويوركر وغيرهما كرسام كاريكاتير ورسوم هزلية، وفنان أفكار. لكن عمله بقي استفزازياً وسياسياً بطريقة لا تتفق مع صورته باعتباره الجد الواثق الفاتن للرسم التوضيحي illustration الحديث.

ويعزو سكارف اهتمامه بالرسم وانشغاله الحيوي بأمر العالم معاً إلى طفولة متوعكة، قضى الكثير منها وراء الأبواب، قبل أن يعرف الناس كيف يعالجون الربو العضال لديه. ويقول، "لقد قضيت بعض الوقت في المستشفى. ولم يكن لديَّ في الفراش ما أقوم به سوى الرسم والقراءة، وأصبح الرسم طريقتي للتعبير عن نفسي، مدوناً أفكاري ومخاوفي على الورق. وأظن أن ذلك هو الذي ما أزال أفعله الآن: رسم ما أخافه من الأشياء."

وأحد الأعمال العزيزة عليه والمعروضة ضمن أعمال أخرى للبيع مؤخراً رسم لرئيس الوزراء البريطاني الأسبق ونستون تشرشل من آخر زيارة له إلى دار البرلمان عام ١٩٦٤، الذي سمح لسكارف بالحضور آنذاك. ويقول سكارف عن ذلك، " لم أكن أعرف عن تشرشل سوى هيئة كلب البلدوغ والسيجار بين أسنانه، متحدياً الألمان عبر منحدرات دوفر الشاهقة البيض. لكنه حين دخل، كان يبدو حطاماً هرماً متثاقلاً ، لا كما كانت الصحف تقدم صورته على الدوام.

وحين قدمت الرسم لصحيفة لوس أنجلس تايمس رفضوا نشرها .. لكن بيتر كوك، مالك مجلة " Private Eye " الذي لم يكن لديه تأنيب ضمير كهذا، قام بنشره على الغلاف الأمامي!"

وإني لأتساءل، يقول الكاتب، كيف تبدو حاله وهو لم يعش فقط بل واشتغل عبر فترة شهدت كلاً من تشرشل وكاميرون، نيكسون وترامب ، إينوك باور وريتشارد سبينسر. هل تراه يشعر وكأن العالم بوجه خاص مجنون تماماً الآن، كما يقال كثيراً، أم أن هناك إحساساً لديه بأنه قد شهد ذلك كله من قبل؟

"أجل، هناك شيء من ذلك ... فالتعصب العنصري، أو الامتعاض من الأجانب، مستمر عبر أجيال من رؤساء الوزراء. وكانت السيدة ثاتشر تفعل كثيراً الشيء نفسه بخطاباتها عن الهجرة الوافدة هنا. وقد عشنا فييتنام، والعراق، والجيش الجمهوري الأيرلندي، والآن نواجه إرهابيين هنا مرة أخرى. إنه لأمر تكراري تماماً. ولا يبدو أننا ذاهبون في الواقع إلى أي مكان .."، كما يقول.

فما الذي يُا تُري يبقيه مستمراً؟ إن هذه الفوضى والتعاسة كلها ، مع مثل هذا القدر الكبير من الوعود المنكوثة من السياسيين والغلوّ المتكرر الذي يستهدف الأقل حظاً، كافية بالتأكيد لإرسال معظم الناس إلى التقاعد المبكر. وأسباب سكارف للاستمرار شخصية، وجذورها في تلك الطفولة العليلة التي عاشها. وهو يقول، "وهذا ما أفعله، وأنا محظوظ جداً، بعمري المتقدم هذا، أني ما أزال أفعل ذلك. فأنا أبدأ العمل عند السابعة، وأظل أعمل حتى الثامنة ليلاً أحياناً. لكنني، كواحد مصاب بالربو كان يقول له والداه إنه سيظل عالةً عليهما، أشعر إجمالاً بأني محظوظ جداً بكوني ما أزال أقوم بعملي هذا."

عن / cnn.com